رام الله

يقع قضاء رام الله بين أقضية نابلس، الرملة، القدس وأريحا في فلسطين. وكان قضاء رام الله أيام الحكم البريطاني يضمّ، بالإضافة إلى 58 قرية، مدينتين هُما رام الله والبيرة. وبعد نكبة 1948 ضُمّ إلى هذا القضاء 14 قريةٍ من قُرى قضاء الرملة، مما زاد قرى القضاء 74 قرية، وازدادت مساحته إلى 800 كم2، والمناطق الزراعية برام الله هي الأرض الوحيد الذي لم تحتل إسرائيل منها شيئًا حتى عام 1967م. وتُعتَبر هذه الأرض من أفضل أراضي فلسطين نجاحًا في زراعة الزّيتون.

مدينة رام الله هي مركز القضاء الذّي يحمل اسمها. وهي مُشادة على عدّة تلالٍ من جبال القدس، تتخلّلها الأودية، وهي تقع للشمال من مدينة القدس وتبعد عنها حوالي 16 كيلومترًا، وترتفع عن مستوى سطح البحر 860م. ورُبّما كانت رام الله تقوم على بقعة «رامتاييم صوفيم» المذكورة في العهد القديم والتّي تعني «مرتفعات الصوفيين».

يبدو أنّ رام الله لم تكن ذات شأنٍ. ففي الفتح الإسلامي كانت خربةً وكانت الأهمية لجارتها البيرة. إلاّ أنّ رام الله أخذت تنمو سريعًا حتّى أصبحت عام 1902 بلدةً. وفي عام 1908 تأسّس فيها مجلس بلدي. وفي الحكم البريطاني أصبحت مركزًا لقضاءٍ يحمل اسمها. وبانتهاء الانتداب البريطاني، دخلت رام الله تحت الحكم الأردني، شأنها في ذلك شأن بقيّة مدن الضفة الغربيّة وقُراها.

تُعتبر مدينة رام الله من مدن الاصطياف في فلسطين، حيث المناخ الجيّد المُعتدل والجنائن الطبيعية الجميلة والفنادق السياحية. وهي من المراكز المهمّة في فلسطين لما تحتله من موقع متقدّم في النّشاطات الاقتصادية والثّقافية والسياسية. ولأنها مركز قضاء، فقد استأثرت بالنّصيب الوافر من الخدمات الإدارية والصحية والتعليمية والاقتصادية. وتنتشر في المدينة المحلاّت التّجارية والمصانع، حيث توجد فيها معاصر الزّيتون ومطاحن الحبوب ومصنع للسّجائر ومعامل للأحذية ومصانع للبلاط والطوب وغيرها..

أمّا المواقع الأثرية فإنّها تضمّ بقايا مبانٍ صليبيّةٍ: البرج وبوّابة بقنطرة وقاعدة عمود عند الجامع. وتحيط برام الله مجموعةٌ من الخرب الأثرية: خربة البرج في الشمال، خربة السّويكة جنوب البيرة، خربة الطيرة وتقع شمال رام الله.

صادَرَت سلطات الاحتلال مساحات واسعة من أراضي رام الله وأقامت عليها العديد من المستعمرات. وقد بلغ عدد المستعمرات حتّى نهاية عام 1987 حوالي 30 مستعمرة موزعة على أراضي رام الله وقراها. تضمّ رام الله الآن رُفاة ياسر عرفات، أوّل رئيس مُنتخب للسّلطة الفلسطينيّة.

***

عكا

عكّا من المُدُن الكنعانية الفلسطينية. أسّسها الجرجاشيّون الفينيقيّون على موقع يسهل الدّفاع عنه بين رأس النّاقورة وجبل الكرمل وجبال الجليل ومُستنقعات النّعامين، ودعوها باسم «عكو» بمعنى الرمل الحار، وأطلق عليها الفراعنة اسم «عكا»، واليونانيون اسم «بتوطايس».

شهدت عكّا كلّ الغزاة الذين غزوا فلسطين وقاومتهم على مدى العصور منذ الفراعنة حتّى العثمانيين. ولا ينسى التاريخ تحطّم أحلام نابليون في الاستيلاء على الشّرق تحت أسوار عكا الحصينة.

تُعَد مدينة عكا مركز القضاء الذي يحمل اسمها والذي يقع إلى الشمال الغربي من فلسطين. يحدّه من الشمال الحدود اللبنانية، ومن الشرق قضاء صفد وطبريا، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب قضاء النّاصرة. ويضمّ القضاء، بالإضافة إلى مدينة عكّا التي تقع على الطّرف الشّمالي من خليج عكا، حوالي 52 قرية و8 عشائر بدوية.

كان لأهالي عكا دَورٌ في كلّ الانتفاضات والمُظاهرات والمؤتمرات والثـورات الفلسطينية ضـدّ الإنكليز واليهود. وبعد انسحاب القوات البريطانية واشتعال الحرب، دافع العكّاويون عن مدينتهم حتى امتدّ القتال من دارٍ إلى دارٍ ومن شارعٍ إلى شارعٍ، إلى أن سقطت بأيدي المُنظّمات الصّهيونية المُسلّحة وذلك بفضل ما تملكه من أحدث آلات الحرب من المُصفحات والمدافع والزوارق الحربية. وأدّى الاحتلال إلى تشريد بعض أهالي عكا.

تُعتبر عكّا ذات موقع اقتصادي وتجاري بفضل مينائها الذي يُعَدّ من أهم موانئ فلسطين لصيد الأسماك، كما تُعتبر ذات موقع أثريّ مهم. فهي تحتوي على العديد من الآثار والمعالم والأماكن الأثرية القديمة من غالبية العصور التّاريخية. فهناك السّوق الأبيض وحمّام الباشا وخان العمدان والقلعة وأسوارها الحصينة والممرّ الألماني وجامع الجزّار وغيرها.

من أبرز أبناء مدينة عكّا: أحمد الشُّقيري مؤسّس وأول رئيس لمنظّمة التحرير الفلسطينية، وغسّان كنفاني أحد أبرز فرسان الفكر والقلم الذي اغتالته أيدي الإرهاب الصّهيوني في بيروت بتاريخ 8 / 7 / 1972م.

***

نابلُس

نابلس مدينةٌ كنعانيّةٌ عربيّةٌ، يعود تاريخها إلى 9000 سنة، وكان اسمها «شكيم»، بمعنى المنكب أو الكتف. وذَكرتها رسائل تل العمارنة باسم «سكَكْمي».

موقع بلدة «شكيم» من أجمل مواقع مُدُن فلسطين. فقد أقيمت على وادٍ

لا يزيد عرضه على ميلٍ واحدٍ، وبين جبلَيّ عيبال وجرزيم المُرتفعين والمكسووين بالكُروم وبساتين الزّيتون، ترويها الينابيع الكثيرة التّي تروي كذلك جنائن المدينة. هذا الموقع الجميل جعل من الصّعب تحصينها وجعلها

أقلّ قدرةٍ على الدّفاع. وقد واجهت نابلس، كغيرها من المُدن الفلسطينية، مراحل الغزو المُختلفة عبر التّاريخ. وفتحها عمر بن العاص بعد فتح غزّة.

أَقدَمَ مَن سَكَنَ شكيم من العرب كان الحويون والجرزيّون. وإذا كانت فلسطين هي قلب الوطن العربي لربطها شماله بجنوبه، فإنّ نابلس هي قلب فلسطين لربطها شمالها بجنوبها. وهي تتمتّع بموقع جغرافي مهم إذ تتوسّط إقليم المرتفعات الجبلية الفلسطينية. ويُعتبر جبل نابلُس حلقةً في سلسلة المدن الجبليّة الممتدّة من الشمال إلى الجنوب. وهي تقع على مفترق طرقٍ رئيسةٍ، تمتدّ من العفولة وجنين شمالًا حتى الخليل جنوبًا، ومن طولكرم غربًا حتّى جسر دامية شرقًا. وتبعد مدينة نابلس عن القدس 69 كيلومترًا، وتربطها بمدنها وقراها شبكةٌ جيّدةٌ من الطّرق. ومدينة نابلس هي مركز قضاء يحمل اسمها، قضاء نابلس، الذي يضمّ إضافةً إليها 130 قريةٍ كبيرةٍ وصغيرةٍ. ويحدّ قضاء نابلس من الشّمال قضاءا جنين وبيسان، ومن الجنوب أقضية القُدس ورام الله والرّملة، ومن الشّرق نهر الأردن، ومن الغرب قضاء طولكرم.

تبلغُ مساحة أراضي مدينة نابلس8365 دونمًا، وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر 5000م. أمّا عدد السّكان فقد بلغ عام 1945 حوالي 23250 نسمةٍ، وهُم الآن حوالي 270 ألف نسمةٍ. وتتكوّن مدينة نابلس من قسمين: البلدة القديمة التي تقوم في وسط المدينة والمعروفة بأزقّتها وأسواقها الضّيقة، والبلدة الحديثة التي أقيمت على الأطراف وعلى سفوح جبلَيّ عيبال وجرزيم. ومدينة نابلس تُمثّل مركزًا اقتصاديًا مهمًا، حيث اشتهرت بصناعة النّسيج والجلود والكيماويّات والصابون والصّناعة المعدنية، وهي عامرة بمدارسها ومساجدها الكثيرة.

سُمّيَت جبال نابلس بجبال النّار لَمَا أبداه أهالي نابلس من ضروب البطولة

والبسالة دفاعًا عن الأرض والحقّ، وذلك في كلّ الثّورات والاضطرابات والمُظاهرات التّي عمّت البلاد، منذ عشرينات القرن الماضي، لمواجهة الإحتلالَين البريطاني والصّهيوني، شأنها بذلك شأن كلّ المُدُن والقرى الفلسطينيّة. وبعد احتلال عام1967 تعرّضت، مثل كلّ المدن الفلسطينية، إلى هجمةٍ استيطانيّةٍ شرسةٍ حيث أُقيمت العديد من المُستعمرات حَولَها.

***

بيت لحم

من أعرق المُدن الفلسطينية. وهي تقع على جبلٍ يرتفع نحو 780م عن سطح البحر، على مسافة حوالى عشرة كيلومتراتٍ جنوبي مدينة القدس. ومناخها مُعتدل البرودة شتاء، أمّا الصيف فلطيف جاف.

وتتميّز بيت لحم بهجرة أبنائها إلى الخارج، ولاسيما إلى الأميركيّتين، وهي تأخذ عادةً طابع الهجرة الدّائمة. وقد بدأت هذه الهجرة في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأخذت تتّسع في بداية القرن العشرين. وتعود هذه الهجرة عدّة إلى أسبابٍ، أهمّها السّعي للعيش في ظروفٍ أفضل نتيجة الفكرة القديمة عن ثرواتٍ الأميركيّتين. ويُقدّر عدد مَن يَعود إلى أصلٍ تلحمي في الأميركيّتين حاليًا ما يزيد على 55 ألفًا.

مدينة بيت لحم قديمةٌ في التاريخ. سُكِنَت حوالى عام 2000 ق.م. وكانت تُسمّى بيت «إيلو لاهاما»، أي بيت الإله لاهاما. وهذا الإله هو

إله القُوت والطّعام عند الكنعانيّين. والأرجح أن اسم المدينة الحالي مُشتقّ من اسم هذا الإله. وربّما كان سبب جعل المدينة بيتًا للإله لاهاما أنّها كانت تقع في منطقةٍ خصبةٍ ترعى فيها الأغنام والمواشي وتنتشر فيها حقول القمح والشّعير والكروم والزيتون. كما إن كلمة بيت لحم تعني بالآرامية «بيت الخبز». وفي بيت لحم وُلِدَ الملك داوود.

أمّا أهمية بيت لحم الكُبرى وشهرتها في العالم، فقد استُمِدَّتا من مولد السيد المسيح فيها. ويروي إنجيل لوقا (2: 1 ـ 20) أنّ مريم ويوسف النّجار ذهبا إلى بيت لحم ليُسجّلا اسميهما في الإحصاء العام، بناءً على أمر أغسطس قيصر. وقد ولدت مريم السيد المسيح وهي هناك.

وفي حوالى عام 330م بنى الإمبراطور قسطنطين الروماني كنيسةً فوق المغارة التي وُلد فيها السّيد المسيح، دُعِيَت «كنيسة القديسة مريم». والمشهور أنّ الذي بنى هذه الكنيسة هو القدّيسة هيلانة أم قسطنطين، بين سنتيّ 326 و333م.

كانت بيت لحم في العصور القديمة متواضعةً. وقد اشتهرت كمركزٍ تجاري في العهد الرّوماني لقيامها على الطريق التجاري التي تربط بين البحر الأحمر وبلاد الشام. ووصلت شهرتها إلى الذروة بسبب ميلاد المسيح فيها. وقد شهدت المدينة نموًا عمرانيًا في أوائل القرن العشرين بسبب تدفّق رؤوس الأموال من أبنائها المُغتربين. وتُشكّل السياحة جانبًا مهمًا من دخل المدينة. فكون بيت لحم مسقط رأس السّيد المسيح شجّع السياحة وما يرتبط بها. فتحوّلت إلى حجّ للسّياح على مدار السنة. وقد تطوّرت صناعة التّحف

والهدايا والتّذكارات المصنوعة من خشب الزيتون والصَّدف والنحاس والتطريز. وقد دخلت هذه الصناعة في القرن الثاني عشر الميلادي، فأتقنها أهل المدينة وأصبحت مصدر الرزق الرّئيسي لمعظم بيوتها. ثم أخذت تتطوّر بدخول الآلة إليها.

تطوّرت في بيت لحم مؤخّرًا صناعة التّحف المعدنية والنّحاسية. كما تطوّرت فيها فروع صناعية مُتعدّدة، أهمها وأقدمها: صناعة النسيج والتريكو والمعكرونة والأثاث المعدني والسّخانات الشّمسية والمسامير والبراغي وهوائيّات التّليفزيون والأدوات الكهربائية والدهانات وأدوات التجميل والصّابون ومبيدات الحشرات. أمّا الزراعة فأهمها: الزيتون والعنب واللّوزيات، يُضاف إلى ذلك بعض الخضر الصّيفية. ويُزرع في المنطقة القمح والشعير وبعض البقول. أمّا الثروة الحرجية في المنطقة فبسيطة، وهي الأحراج التي توجد الآن في بقعٍ مُتفرّقةٍ حول الأديرة وبعض مناطق التّحريج. ومن حيث المباني، ففي المدينة طرازان معماريّان مُختلفان:

ـ الأوّل قديم في البلدة القديمة حيث القباب والجدران السّميكة المصنوعة من الحجر الكلسي، والأبواب والشبابيك على شكل الأقواس. وتلتصق هذه البنايات بعضها ببعض مُقسّمةً البلدة القديمة إلى حاراتٍ مُتراصةٍ ذات شوارع ضيّقة. وكان هذا هو الشّكل الأمثل لتأمين الدّفاع عن المدينة والأحياء قديمًا.

ـ أمّا الطّراز الثاني فهو الطراز الحديث في مناطق السّكن الجديدة. ويتكوّن البناء فيه من الحجر المنحوت من الخارج والإسمنت من الداخل. والشبابيك والأبواب مستطيلة الشّكل، والسقف مُسطّح. والبناء السّائد

هو البيوت المُستقلّة ذات الطبقة الواحدة. وقد بدأ حديثًا بناء عمارات من طبقاتٍ مُتعدّدةٍ.

***

النّاصـرة

مدينة الناصرة إحدى أكبر مدن فلسطين وأجملها، ولها مكانة خاصّة في نفوس المسيحيين في مختلف أنحاء العالم. وهم يحجّون إليها كما يحجّون إلى القدس وبيت لحم. وقد نُسِبَ إليها السّيد المسيح فدُعِيَ بالنّاصري، وعُرِفَ أتباعه بالمسيحيّن تارةً وبالنّصارى تارةً أخرى، وتقع الناصرة في قلب الجليل الأدنى، وهي نقطة انتقالية بين منطقة مرج ابن عامر السهلية ومنطقة الجليل الأعلى الجبلية. وقد كان لموقعها الجغرافي أهميةً منذ القِدَم، فكانت طرق فرعية تصلها بالطرق الرّئيسة التي تربط بين سورية ومصر من جهةٍ والأردن وفلسطين من جهةٍ ثانيةٍ. ولموقع النّاصرة أهميّته التجارية والسياحية والعسكرية. فهي مركز التبادل التجاري لمنتجات البيئات المتنوّعة من حولها. كما إنّها محط أنظار السّياح الذين يفدون إليها لزيارة الأماكن التي ارتادها السّيد المسيح، ومشاهدة المواقع الأثرية المحيطة بالمدينة والتّمتع بالمناظر الطّبيعية الجميلة.

مناخها لطيف، وهو مناخ البحر المتوسط المُتميّز بحرارته وجفافه صيفًا، ودفئه وهطول أمطاره شتاءً. وتسقط الثلوج على الجبال المحيطة بها. واستمدّت النّاصرة مكانتها في التاريخ لأنّها مدينة السّيد المسيح ومريم العذراء. فقد استوطنتها السّيدة مريم العذراء ويوسف النّجار، وفيها بشّر جبرائيل مريم العذراء بميلاد السّيد المسيح، وفيها قضى المسيح ثلاثين عام من عمره.

وفي الناصرة 24 كنيسة وديرًا وعدد من المتاحف الدّينية. وتضم كذلك بعض المساجد وأضرحة الشهداء والصّالحين من المُسلمين. وأبرز معالم المدينة الدينية التاريخية كنيسة البشارة التي تقوم على الموضع الذي بُشّرت فيه مريم بأنها ستلد المسيح. وفيها كذلك كنيسة القديس يوسف التي أُقيمت مكان بيت يوسف النجار وحانوته، وكنيسة البلاطة أو مائدة المسيح وغيرها. ويزور آلاف الحجّاج المسيحيين والسّياح النّاصرة سنويًا، الأمر الذي يبعث الحياة ويزيد من الحركة والنشاط فيها.

تُستَخدَم الأراضي حول الناصرة في زراعة الأشجار المُثمرة، كالعنب والزيتون والتفاح والمشمش والتين والرّمان واللّوز وغيرها. كما أنّ السفوح الجبلية شديدة الانحدار تكسوها الأشجار الحرجيّة. وفي أراضي النّاصرة تُزرَع المحاصيل الحقليّة من قمحٍ وشعيرٍ وعدسٍ وفول وحمص وغيرها، علاوةً على مختلف أنواع الخضر. وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار والمياه الجوفيّة من الينابيع والآبار.

اشتهرت الناصرة في القديم بصناعة النسيج، وكان فيها أنوال كثيرة لحياكة المفارش والجوارب. وتُصنع في المدينة المناجل والمحاريث. والمصنوعات الخشبية أقدم ما عرفته الناصرة من الصناعات. ومن صناعات الناصرة كذلك: دباغة الجلود وتفصيلها وخياطة الفراء وصناعة الفخار والهدايا التذكارية من سجّاد ونحاس وخشب محفور. واشتهرت نساء النّاصرة بصنع المطرّزات الحريرية، وفيها معاصر للزيتون والسّمسم، وفيها أيضًا مصانع للصّابون.

***

جـنين

تقوم مدينة جنين الفلسطينية على البقعة التّي كانت تقوم عليها مدينة عين جنيم العربية الكنعانية. وهي تعني «عين الجنائن»، لذلك سُمّيت بهذا الاسم بسبب الجنائن التي تُحيط بها، وفي عهد الرومان كان في بقعتها قرية «جيناي» من قُرى سبسطيّة، فتحها العرب في القرن السابع الميلادي، وعُرِفَت بهذا الاسم، «جنين»، حتّى يومنا هذا، ومدينة جنين هي مركز قضاء جنين، وتُعتَبر حلقة وصلٍ بين طرق المواصلات القادمة من نابلس، العفولة، وبيسان، ونقطة مواصلات الطّرق المتجهة إلى حيفا والناصرة ونابلس والقدس ... تقع جنين إلى الشّمال من مدينة نابلس، وتبعد عنها 41كم، وترتفع 250م عن سطح البحر. بلغ عدد سكّانها، عام 1967، 13365 نسمةٍ، بمَن فيهم سكّان مُخيّم جنين. وارتفع العدد عام 1997 إلى 203.028 نسمة، بينما بلغ عدد سكّان مخيم جنين 12066 نسمة حسب إحصاءات وكالة الغوث الدولية عام 1997 ... وكانت جنين تضمّ، قبل نكبة 1948، حوالى 70 قرية كبيرة وصغيرة. وبعد النكبة، اقتصرت على 19قرية، حيث استولت المنظّمات الصهيونية على عددٍ من القرى عام 1948، وسُلِّم لها عدد آخر من دون قتالٍ، بموجب اتفاقية رودوس. ويتبع مدينة جنين 4 بلديات: يعبد، سيلة الضهر، عرابة وقباطية، ويوجد فيها سبع مدارس حكوميّة: أربع للبنين وثلاث للبنات، بالإضافة إلى المدارس الأهلية ومدارس وكالة الغوث. كما تضمّ مُستشفيين و23 عيادة صحية. وخاضت جنين بمدنها وقراها معركة الدّفاع عن الوجود ضدّ المنظمات الصهيونية المسلحة التي استولت في أواخر أيار 1948 على قرى زرعين والمزار ونورس وصندلة والجملة والمقبلية وفقوعة وعرانة. وتمكنت الإفلات من الوقوع بيد المُهاجمين الصّهاينة بفضل

نجدة قوامها 500 جندي عراقي وحوالي 100 مجاهد فلسطينيّ من القُرى المجاورة. لمدينة جنين وجوارها معالم أثرية منها: المسجد الكبير الذي أقامته السيدة فاطمة خاتون، ابنة محمّد بك السّلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري، والجامع الصغير، وخربة غابة شرق جنين، وخربة خروبة شمال جنين. ومن أراضي جنين وقراها صادرت سلطات الاحتلال مساحات شاسعة وأقامت عدد من المُستعمرات في حدود عشر مستعمرات.

***

حيفا

«حيفا» كلمةٌ عربيّة من «ألحيفة» بمعنى «النّاحية»، و«حف» بمعنى «شاطئ». وقد سُكِنَت حيفا ومنطقتها منذ ما قبل التاريخ المُدوّن، حيث اكتُشِفَت في مغارات جبل الكرمل وكهوفه هياكلٌ بشريةٌ تعود إلى العصر الحجري القديم. والعرب الكنعانيون هُم أوّل مَن سَكَن حيفا وديارها وبنوا وعمّروا الكثير من مُدُنها وقراها.

مدينة حيفا هي مركزٌ لقضاءٍ يحمل اسمها. وهي وجه فلسطين البحري ومنفذها الرّئيسي للعالم الخارجي. و ثالث كبرى مدنها بعد القدس ويافا. وهي ذات موقع جغرافيّ مهمّ، حيث تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وبالقرب من رأس خليج عكّا الجنوبي.

وتتكوّن من أراضٍ سهليةٍ منبسطةٍ وإلى جانبها أراضٍ مرتفعة. فأراضيها ترتفع عن مستوى سطح البحر بين 50م و546م. يحدّ حيفا وقضاؤها من الشّمال قضاء عكا، ومن الجنوب قضاء طولكرم، ومن الشرق قضاءا جنين والناصرة، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسّط. وقد انتقلت حيفا في أوائل القرن العشرين من قريةٍ متواضعةٍ لصيّادي الأسماك إلى مرفأٍ مُهم حيث أصبح ميناؤها الحديث الذي افتُتح عام 1933 من أكبر موانئ البحر الأبيض المتوسّط.

ارتبطت حيفا بشبكة طرق مُعبّدة وخطّ حديد القنطرة ـ غزة ـ اللّد ـ حيفا. وفي حيفا تمّ بناء مصفاة لتكرير البترول عام 1933. وعلى ساحلها ينتهي خط أنابيب بترول العراق، كركوك، المتوقّف حاليًا. كلّ ذلك ساهم في تطوّر ونمو حيفا واتّساع التجارة والصناعة فيها. ومن الصناعات التي قامت في المدينة صناعة الإسمنت والسّجائر والمغازل والأنسجة. وحيفا كانت مركزًا نشيطًا للحركة الثّقافية والسّياسية والعُمّالية، وعلى أرضها قامت المنظمة الثّورية التي أسسها الشيخ عز الدين القسام.

وفي حيفا صدر خلال فترة 1946 و1980 حوالى 19 صحيفة ومجلّة، وانتشرت فيها المطابع والجمعيات والأندية والفِرَق المسرحية. في أواخر عهد الانتداب كان في حيفا 20 مدرسةٍ ما بين إسلامية ومسيحية. كما تضمّ حيفا العديد من المناطق والمواقع الأثرية التي تحتوي على آثارٍ من العهود الكنعانية والرومانية والمسيحية والإسلامية، مثل مدرسة الأنبياء وكنيسة

مار إلياس المنحوتة في الصّخر. وفيها قلعةٌ بناها الفرنجة وخربة السّمك، وتضمّ فسيفساء ومنحوتات صخرية رومانية، ومقام عباس أفندي، وهو معبد للمذهب البهائي. وعلى سفح جبل الكرمل تقع كنيسة مريم العذراء.

***

يافا

تقع مدينة يافا الفلسطينية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط. وهي إحدى نوافذ فلسطين على البحر، وعبرها يتمّ اتّصال فلسطين بدول حوض البحر المتوسط، والعالم.

كانت يافا منذ القدم محطّةً رئيسةً تتلاقى فيها تجارة الشّرق والغرب كما كانت جسر عبور للقوافل التّجارية بين مصر وبلاد الشّام لأنها في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني الذي يُعَد من أكثر الطّرق التّجارية يُسرًا وسهولةً وأمانةً. وكان السهل الساحلي معبرًا مُفضّلًا للجيوش المُتّجهة نحو مصر جنوبًا أو نحو بلاد الشام شمالًا وشرقًا. وافتُتِحَ ميناء يافا عام 1936 وأدّى إلى ازدهار المدينة ونشاطها الاقتصادي، فشهدت حركةً تجاريةً مُنقطعة النظير. وبه صارت عقدة مواصلاتٍ بحريةٍ إضافةً إلى البرية.

يمتازُ السهل الساحلي الذي تقوم يافا في وسطه بانبساط أرضه وخصب تربته وتوافر مياهه واعتدال مناخه واستقامة ساحله. وتُعتَبر تربتها من

أخصب التّرب في فلسطين. وهي صالحة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية بصفةٍ عامةٍ، والحمضيات بصفةٍ خاصةٍ. ويجري في أراضي يافا الشمالية نهر العوجا، وتمتدّ على جانبي النّهر بساتين الحمضيات التي جعلت من هذه البقعة متنزّهًا محليًا لسكّان يافا، يؤمونه في عطل نهايات الأسبوع وفي المناسبات والأعياد.

مُناخ يافا مناخ حوض البحر المتوسط. ويندر أن يحدث الصّقيع أو ينزل الثلج فيها، الأمر الذي يُساعد أشجار الحمضيات على النّمو.

موقع يافا الجغرافي أكسبها أهمية حربية وتجارية وزراعية، فكانت على مرّ التّاريخ معبرًا للغزاة والتُّجار والحجّاج. وكانت بابًا لفلسطين ومدخلًا إلى القدس. وقد تطلّعت إليها دولٌ وأقوامٌ كثيرةٌ، وحُوصِرَت وفُتِحَت وخُرِّبَت وأعيد بناؤها مرارًا.

اسم مدينة يافا تحريف لكلمة «يافي» الكنعانية، ومعناها الجميلة. وكان سكّانها يعملون قديمًا في الصيد والزراعة. وإلى جانب ذلك، ظهرت فيها بعض الصّناعات المُبكرة، كالغزل والنسيج وعصر الزيتون والخمور وصناعة الفخّار.

ومع تقدّم بناء السفن بدأت تظهر علاقات التّجارة مع مصر وسواحل آسيا الصّغرى وجُزُر بحر إيجة. فظهرت تأثيرات الفن المصري والإيجي في يافا ومدن الساحل الفلسطيني الأخرى.

وقد شهدت يافا في القرن الثامن عشر حركةً عمرانيةً، وزادت فيها حركة المُسافرين. وبدأ إحياء بعض الصّناعات فيها، كصناعة الصابون وغزل القطن. وورد أوّل ذكر برتقال يافا عام 1751م. وأخذت المدينة

تنمو بخطواتٍ سريعةٍ في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر، فزاد عمرانها وكبرت مساحتها، وافتُتِحَ بها أوّل خط سكة حديدٍ في فلسطين، يربط يافا بالقدس عام 1892.

ظلّت يافا حتّى الحرب العالمية الأولى ميناء فلسطين الأول، وكانت السّفن تنقل إليها البضائع وتحمل منها البرتقال والصّابون والحبوب وغيرها. واتُّصِفَ بحّارتها بالجرأة والمهارة في الملاحة في مرفأ معرّض للأنواء.

وللصناعة دور في اقتصاديات يافا، لكنه لا يصل إلى مرتبة دورَيّ التجارة والزراعة. ففيها معامل للتبغ والبلاط والقرميد وسكب الحديد والنسيج والبسط والورق والزجاج وعدّة مصابن ومدابغ ومطابع. كما إنّ صناعة طحن الغلال من بين أهم الصناعات الغذائية في يافا.

وتُعتَبر شواطئها من أهمّ مراكز صيد الأسماك في فلسطين.

ازدهرت السّياحة فيها، فكانت محط أنظار السُّياح الذين يؤمّونها من داخل فلسطين وخارجها لمشاهدة الأماكن الأثرية والتاريخية وللاستجمام فوق شواطئها الجميلة وفي البساتين المحاذية لنهر العوجا. كما كانت يافا مركز النّشاط الثقافي والأدبي في فلسطين.

***

طبريا

طبريا مدينةٌ من مدن الغور الفلسطيني. بناها الإمبراطور هيرودوس انتيباس عام 20م، فوق موقع قرية رقة الكنعانية، ثم زوّدها بالمياه من خلال قناةٍ طولها 9 أميالٍ، وتقع إلى الشّمال الشّرقي من فلسطين. وهي مركزٌ لقضاءٍ يحمل اسم قضاء طبريا، والذي يضمّ إضافةً إليها 26 قريةٍ وبعض القبائل.

تمتدّ مدينةُ طبريا من الشّمال إلى الجنوب حيث تقعُ بين السّاحل الغربي لبحيرة طبريا والسّفوح الشّرقية لجبل اللّوزات. وتنخفض عن مستوى سطح البحر أكثر من 200م. يحدّها شمالًا مدينة صفد وجنوبًا مدينة بيسان وغربًا مدينة النّاصرة وشرقًا الحدود السّورية والأردنية، وتقع أيضًا على طريق القوافل التّجارية، بين دمشق ومصر. وتتميّز بهوائها الجاف الصّحي ووفرة مياهها المعدنية التّي تنبع من جهاتٍ مختلفةٍ قرب ساحل البُحيرة، حيث تُعتبر من أهمّ مناطق الاستشفاء.

وهي مثل المُدن الفلسطينيّة الأخرى، شهدت كلّ الغزاة الذين غزوا فلسطين وقاومته، وكان آخر المُحتلّين لها البريطانيون بتاريخ 15/ 9/ 1918، ثمّ احتلّها الصّهاينة في 19/ 4/ 1948.

شارك الطّبرانيون إخوانهم في المُدن الفلسطينيّة الأخرى في كلّ المظاهرات والإضطرابات والثّورات التي قامت في فلسطين لمقاومة الاحتلال البريطاني والصّهيوني: من ثورة البراق عام 1919 إلى ثورة القسام عام 1935 والثّورة الكبرى عام 1936، ثم الاشتباكات والمعارك التّي دارت بعد قرار التّقسيم في 29/ 11/ 1947.

في عام 1948 وفي شهر آذار، كانت الغَلَبة للمُناضلين العرب، إلاّ أنّ قائد

الجيش في طبريا تدخّل لتهدئة الأوضاع. ثم ما لبث أنّ شنّ الصّهاينة هجومًا مُفاجئًا على المدينة، في مُنتصف نيسان عام 1948. فتصدّى لهم المُقاومون الطّبرانيون والعرب. إلاّ أنّ المدينة سقطت بأيدي المُنظّمات الصّهيونية المُسلّحة بتاريخ 19/ 4/ 1948، وذلك تحت سمع وبصر قوّات الاحتلال البريطاني. وبذلك تكون مدينة طبريا هي أوّل مدينةٍ فلسطينيةٍ تسقط بأيدي الصّهاينة الذّين نقلوا سكّانها العرب إلى النّاصرة ثمّ أخذوا ينهبون البيوت. ودمّر الصّهاينة المدينة وأقاموا في مسجدها، جامع الجسر، مُتحفًا محليًا، ووسّعوا مستعمرة قريات شموئيل وأحاطوا المدينة بالمُستعمرات، أهمّها: كنيرت بفنيئيل، روش بينا، جسر بنات يعقوب.

تُعتَبر طبريا ذات موقعٍ أثريٍ حيث تحتوي على العديد من المعالم الأثريّة التّاريخية لعصورٍ مختلفةٍ وحيثُ يوجد فيها أسوار مدينة وآثار بلدةٍ رومانيّةٍ ومدافن رومانية وقلعة الحمام وحصن معون وحمّامات طبريا.

***

بيسان

بيسان مدينة عربية كنعانية من المُدن الفلسطينية القديمة. ترجع نشأتها إلى 6000 عام ق.م. وعُرِفَت قديمًا باسم «بيت شان» وتعني «بيت الإله شان» أو «بيت السّكون». ونشأت بيسان فوق أقدام الحافة الغربية للغور، وفي سهل بيسان الذي يُعتَبر حلقة وصل بين وادي الأردن شرقًا وسهل مرج ابن عامر غربًا. وتشرف على الأجزاء الشّمالية من وادي الأردن، وتقع على الطّريق الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق والطريق التجاري بين مصر والشام. كلّ ذلك جعل منها ذات أهمية تجارية وعسكرية وزراعية. تنخفض عن سطح البحر حوالى 150 م ... وشهدت بيسان مراحل الغزو

المُتعاقبة على فلسطين منذ فجر التاريخ لدُولٍ عديدةٍ، كان آخرها الإحتلال البريطاني بتاريخ 20/ 9/ 1918، والذي رحل عنها بعد أن سلّم المدينة للمنظّمات الصهيونية المُسلّحة.

مدينة بيسان هي مركز قضاء بيسان الذي يقع بين قضاء طبرية والناصرة شمالًا وقضاء نابلس جنوبًا ونهر الأردن شرقًا وقضاء جنين غربًا. وهي مدينة زراعية أذ أنها تقع في قلب سهلٍ خصبٍ وافر المياه. وأهمّ محاصيلها الحبوب والبقوليات والسمسم والزيتون والحمضيات والخضروات. أمّا في مجال الصناعة، فقد اقتصرت على الصّناعات التقليدية مثل منتجات الألبان، طحن الحبوب، عصر الزيتون وتجفيف الفواكه. وفي مدينة بيسان مواقع أثرية مهمّة تدلّ على مكانتها وعظمتها عبر التاريخ، منها: تل الجسر، تل المصطبة، الحصن، موقع بيسان القديم البيزنطي. وكشفت التّنقيبات عن أربعة معابد كنعانية مُعاصرة لحكم أمينوفس الثّالث وسيتي الأول ورعميس الثّاني والثالث، وعلى كنيسةٍ بيزنطيّةٍ وختمٍ بابليّ أسطوانيّ عليه كتابات مسمارية وتوابيت ومدافن وجسور من كلّ العصور. وعُثِرَ على آثارٍ مصريّةٍ فرعونيةٍ. وشاركت بيسان شقيقاتها المُدُن الفلسطينية كلّ وقائع المظاهرات والثورات والمؤتمرات ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني منذ عشرينات القرن العشرين. احتلّت المُنظّمات الصهيونية المُسلّحة المدينة بتاريخ 12/ 5/ 1948 بعد مقاومةٍ عنيفةٍ من أهالي بيسان. لكن الغلبة العسكرية كانت للصّهاينة، وأجبَرت المنظمات الصهيونية أهالي مدينة بيسان على الرحيل بالقوّة، حيث أُلقِيَ بهم على الحدود السّورية واللّبنانية وهُدِّدَ مَن يعود بالذّبح. ثم هَدمت إسرائيل المدينة وأعادت بناءها عام 1949، تحت اسم «بيت شان»، وأحاطتها بالعديد من المُستعمرات.

عـيـن كـارم

تبعد عين كارم مسافة سبعة كيلومتراتٍ عن مدينة القدس إلى الجنوب الغربي منها، وتبعد كيلومترًا واحدًا عن قُرى المالحة والجورة والوجلة.

وعين كارم هي كُبرى قرى القدس مساحةً وأكثرها سكّانًا، وحدودها واسعة وتتماس وتتداخل مع حدود قُرى مُتعدّدة في لواء القدس. وهي إحدى أربع عشرة قريةٍ، تلك التّي تُسمّى بقُرى بني حَسَن، وفي رواياتٍ، عشر قرى، ورواية تقول إنّها إحدى عشرة قريةٍ، ورواية أخرى تقول إنّها إحدى تسع قرى، ويغلب الظّن أنّها إحدى أربع عشرة.

أمّا أصل هذه التّسمية (قرى بني حسن)، كما تُرجِّحُ التّقاليد الموروثة، فإنّها نسبة إلى بني حسن (أيّ السّلطان حسن سيّد بني هلال)، كما ورد ذلك في «تغريبة بني هلال» المشهورة. وأمّا القرى الأربع عشرة، فهي: عين كارم، بيت جـالا، المالحة، حوسان، بيت صفافا، بَتير القبو، رأس أبو عمّار، شرفات، الجورة، خربة اللّوز، الوجلة، دير ياسين، الخضر.

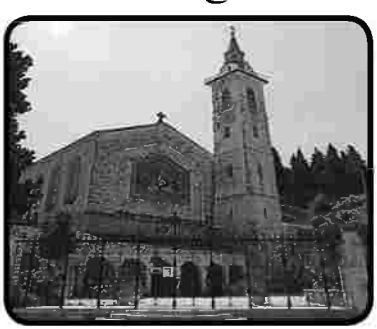

تقع عين كارم جغرافيًا ضمن إقليم جوديا، على قمّة المُرتفعات الغربيّة العالية المكسوّة بأنواعٍ كثيرةٍ من الأشجار الباسقة، كأشجار السّرو والصنوبر، كذلك بأشجار الفاكهة المتنوّعة من اللّوزيات والتّفحيّات وغيرها، لاسيّما في المناطق التّي تقوم فيها الأديرة والأبنية الخاصّة الموغّلة في القدم، وهي مواقع

أثريّة تحتوي على قبورٍ قديمةٍ منقورةٍ ومحفورةٍ بالصّخر على شكل فُسيفَساء جميلةٍ. وهذه السّلسلة من الجبال متّصلة، بدايةً، بجبال نابلس، امتدادًا بجبال القدس وانتهاءً بجبال الخليل التّي تتوازى معها وتتساوى بالارتفاع، باستثناء جبل الزّيتون (الطّور).

موقع عين كارم الصّحي أكسبه اهتمامًا من قِبَل الغُزاة. فقد اهتمّ بها الإفرنج أيّام الحروب الصّليبية قُبيل الحرب العالميّة الثّانية، وأقامت فيه إسرائيل مُستشفى «هداسا». وتبلغ مساحة عين كارم (القصبة والأراضي التّابعة لها) 30 كيلومترًا مربّعًا تقريبًا، وهي كُبرى قُرى القضاء إذ تبلغ مساحة قصبة البلد والمناطق الزّراعية والمُثمرة بالدّونمات والمُشجرة والمُخضرَّة15029 دونمًا، وتقوم القرية (المَساكن) على مساحة1034 دونمًا. وضمّت القريةُ مواقع كثيرةً ومتنوّعةً من خِرَبٍ وأطلالٍ وأديرةٍ وأمكنةٍ قديمةٍ. ومن هذه الخِرَب خربةٌ تُسمّى الحريش أو حاراش، وتعود تلك التّسمية إلى أيّام الرّومان، وهي في أقصى الغرب. وكذلك خربة الجبيعة وبيت مزميل وتسمى ببيت مدميل (خربة الحمامة) في أقصى الشّرق، بالقُرب من المالحة. وقَطَنَ «عين كارم» العديد من الأنبياء، كزكريا ويحيى. وكذلك مريم وعيسى قضيا بعضًا من سنوات عُمريهما فيها... وتبعًا لذلك، فقد حَظيت باهتمام كبيرٍ من قِبَل المسيحيّين، فأُقيمت فيها الكنائس والأديرة، كدير الفرنسيسكان وكنيسة القدّيس يوحنا.